الحرص

صفة لا تعرف الشيخوخة

تأليف

السيد محسن السعبريّ

الإهداء

ما كـان لي أن أغـيّر مـا قلتـه، وهـو كيـف أن أهـدي عمـلًا لم أجـزم بقبوله، ولكن على فـرض القبـول، وتماشـيًا مـع العـرف، فأهـدي ثـواب عملي هذا إلى كلِّ مَنْ أحسن إليّ، وأعانني عـلى طاعـة الله تعـالى مـن أوّل يوم في الحياة وإلى آخر لحظة من المهات، وصلى الله على محمد وآل محمد.

(٤) .... الحرص صفة لا تعرف الشيخوخة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والحمد لله الذي هدانا صراطه المستقيم، وحبَّبَ إلينا دينه القويم؛ لنحظى في دار النعيم، والحمد لله من أوّل الدنيا إلى فنائها، ومن أول الآخرة إلى بقائها، والحمد لله على كلِّ نعمةٍ، واستغفر الله ربي وأتوب إليه من كلِّ ذنب عظيم، وصلى الله على سيدنا رسول رب العالمين، وعلى عترته الغرّ المحجلين ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:-

يقول العبد الأحقر المقرُّ بالذنوب، صاحب القلب المعيوب، رأَيت أنَّ أكثر ما تعانيه الناس في هذه الدنيا وخصوصًا في أيامنا الأخيرة هو (الحرص) حتى مُلئت المستشفيات بالمرضى، ولم يكن لهم داء غير الحرص.

لأن النفس الأمّارة لا تعرف الهرم والشيخوخة في طلب الدنيا؛ ولذا ترى ما لا يرضيك ممن شاب رأسه وتجعد وجهه، فإن رسول الله ﷺ يقول: **قلب الشيخ شاب في طلبِ الدُّنيا، ولو التقتا ترقوتاه من**

الكبر إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان، وقليل ما هم)[1].

وفي الخبر: يشيب ابن آدم وتشيب معه خصلتان: الحرص، وطول الأمل. فلا تأخِّروا تزكية أنفسكم بُغية أن يكون إصلاحها عند الكبر أهون وأفضل، فإنَّ ذلك من مصائد إبليس _اللعين.

ورأَيت الضارب والمضروب وما يعانيه البعض من أمراض فسلجية كلّها مَردّها إلى الحرص، فما من معضلةٍ إلّا وسببها الحرص.

ومن المعلوم أنَّ العالم ورجل الدين طبيب بل هو الأحق بهذا؛ لأنَّه يستأصل أصل الأمراض ودواعيها قبل مُداهمتها الإنسان، فلما يرشد العالم الناس إلى الحلال وترك الحرام ويعظهم بالحسنى، ويخرجهم من الطمع إلى القناعة، ومن العداوة إلى النصيحة، ويأمرهم بالتواصل والتراحم.

فإنَّه يكون قد قطع الطريق أمام الأوبئة، فجلّ الناس تموت بسبب الطمع والحقد والأنانية والحسد والبغضاء؛ ولهذا لو كان الاهتمام بمثل هذه الأمور لعطِّلت المستشفيات إلّا ما دعت إليه الضرورة، وأنت خبير.

---

(١) المصدر: مخطوط.

فإنَّ الدخول إليها يتفاوت من بلدٍ إلى آخر حسب الثقافة ونشر المحبة، فتجد بعض البلدان يقلُّ دخولها المستشفيات نظرًا للأمن والاستقرار، وثقافة مجتمعها وإن كان البلاء اليوم عمَّ الجميع؛ بسبب أهل الحرص والعداوة.

ولمّا كان هذا أخذتُ على نفسي أن أكتب هذه الرسالة في هذا الباب؛ لأبيّن بعض الذي غفل عنه الناس عسى أن أفرِّج همَّ مهموم، أو أكشف بذلك غمَّ مغموم، فيكون لي ذخرًا في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم، وسوف أروم الاختصار؛ ليتسنى قراءته لذوي الأعذار، والذين يكثر تغيبهم عن الأوكار، وإن نقص فيه شيء فالعذر لله الواحد القهار.

معنى الحرص:

أريد به الجشع، وطلب ما لا يحتاج، وهي الصفة النفسانيَّة التي تبعث العبد إلى التزايد في الطلب، والرغبة الشديدة فيما لا يحتاج إليه، وبمعنى أدق أنَّه الرغبة الشديدة في نيل الأشياء مطلقًا، سواء كان يحتاج إليها أم لا، فصاحب الحرص يطلب الأشياء بلا هوادة في النفس، بل مع

الضغط والإلحاح، إلى حد أن لا يتمالك صاحبها نفسه.

ويمكن أن يقال أن تلك الصفة هي مجموعة من شُعب الصفات، وليست من الصفات البسيطة؛ ولهذا كانت أُمًا للرذائل وأساسًا في خلق الصفات المهلكة، فهي كالشره وسوء الظن بالله تعالى والطمع وضعف اليقين ..إلخ.

الحرص أول المعاصي:

لابدَّ من أن تعلم جيدًا بعد البدء بتعريفه أنَّه من أوّل ما عُصي به الله تبارك وتعالى، وهذا مما يكشف أنَّه من أخطر الرذائل على العباد؛ ولهذا أخذنا على أنفسنا بيانه.

فأوّل ما سبق من الرذائل إلى الإنسان وغيره كإبليس اللعين هو الحرص، وتسبَّب في إخراج إبليس من الجنَّة، وتمَّ طرده لأجل تلك الخصلة الذميمة، أي لابدَّ أن تعلم أنَّ ما من شيء يدخلنا في هذا العالم المليء بالمتاعب والمصائب غير الحرص، فإذا كان هذا أوّل فعاله، فكيف بي وبك؟ فكم تسرَّب الحرص إلينا حتّى صرنا لا نميزه عن باقي

الرذائل، أو الفضائل، حتّى أنا الذي أحدِّثك عن الحرص ومذامّه، حرصت أن أكتب هذه الأوراق في ثلاثة أيام(١).

ثم إني فكرت في نفسي قليلًا، قلت عجبًا أتحدث عن الحرص وذمّه، ثمَّ إني أحرص على كتابته _أي هذا الكتاب_ وبهذه المدة الحرجة!!

كل ذلك ليعلم القارئ أنَّ الحرص قد تشعَّب فينا في كلِّ أمرٍ من أمور حياتنا، وسوف نبيّن ذلك، إذ لم تسلم منه حتى الأتقياء والعظماء من الناس، ولنذكر بعض الأخبار؛ لنجلّي بها الأبصار:

- عن أبي عبد الله عليه السلام: **أصول الكفر ثلاثة:- الحرص والاستكبار والحسد**(٢).

- وعن علي ابن الحسين عليه السلام: **فأوّل ما عصى به الكبر، ثم الحرص**

---

(١) ومن الغريب أيضًا، أنا المراجع لهذا الكتاب وصاحب التخريج، حرصت أن أكمل مراجعة وتصحيح هذا الكتاب بثلاث ساعات فقط، ولكن انتبهت فجأة من غفلتي، وتعجبت لحرصي، وتبسمت لأمري؛ لكوني واحداً من الكثيرين في هذا المجتمع ممن ابتلوا بمرض الحرص. محمد المنتظر السعبريّ.

(٢) الخصال: ١٠٤.

ثم الحسد(١).

- وفي وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسين عليه السلام: **الحرصُ مفتاح التعب، ومطية النصب، وداعٍ إلى التقحّم في الذنوب**(٢).

- وعن ابن عباس أنَّه قال:- **قال إبليس لنوح عليه السلام: لك عندي يد سأعلمك خصالًا، قال نوح: وما يدي عندك؟ قال دَعْوتك على قومك حتى أهلكهم الله جميعًا، فإياك والكبر والحرص والحسد.**

فإن الكبر هو الذي دعاني على أن تركت السجود لآدم فأكفرني، وجعلني شيطانًا رجيمًا وإياك والحرص فإن آدم أبيح له الجنة، ونهى عن شجرةٍ واحدةٍ فحمله الحرص على أن أكل منها، وإياك والحسد فإنَّ ابن آدم حسد أخاه فقتله، فقال نوح عليه السلام: فأخبرني متى تكون أقدر على ابن آدم؟ قال:- عند الغضب(٣).

---

(١) ينظر: وسائل الشيعة: ١٦/ ٨.

(٢) مستدرك الوسائل: ١٢/ ٦١.

(٣) بحار الأنوار: ١١/ ٢٩٥.

سابق على الحسد:

فكم ترى من الحسد من أذىً وبلاءٍ وعناءٍ، إذ أنَّه يُفني خير الدنيا وخير الآخرة، وأشقى ما يكون العبد إذا كان حسودًا، فيصير حينئذ عدوًا لنفسه، ويفارق الفرح والسرور، ويعانق الضيق والحسرة، فإنَّ كلَّ ذلك أصله الحرص؛ فإنَّ العبد لا يحسد حتى يحرص، فالقاعدة التي يرتكز عليها الحسد هو الحرص دون غيره، أذكر لك أمثلة تظهر لك حقيقة هذا القول:

فلو حرص شخص على أن يحصل شهادة الدكتوراه في الطب، وأصرَّ على ذلك وبادر إلى إيجاد تحصيل المقدمات وتفانى في الطلب، أي حرص على ذلك تمام الحرص، فستجده حينها يحسد كل من حصل عليها خصوصًا إذا خاب طلبه، وكذا إذا قدّم على الدراسات العليا، وكان هناك مقعدان أو ثلاثة فيدعوه ذلك حينئذ إلى حسد وكراهة منافسه.

وكذلك الحال بالنسبة لمن حرص على تحصيل المال، فإنَّه يحسد كل من ينازعه عليه ولا يبعد المثال عن ما يحصل اليوم من الحرص على

تحصيل المناصب، والجلوس على كرسي الحكم الذي دعا إلى التحاسد ومعلوم أنَّ الحسد كفرٌ، وهو الأساسُ في سفكِ الدماء، وهتك الأعراض، وإهلاك النسل والحرث، وما من موجعةٍ اليوم في عالمنا إلّا وسببها الحسد، المتسبب عن الحرص.

وبكلمة جامعة:

إذا قرأت الحسد، وعلمت شره وأذاه، وكل ما يحصل منه من بلاءٍ وعناءٍ، فاجعل أساسه الحرص وبذلك يظهر لك أنَّ الحرص أمٌ للحسد.

شيء عن الحسد:

قال الإمام الصادق عليه السلام: **لا يطمعن الحسود في راحة القلب**[1].

هذا أثره في الدنيا، وأمّا في الآخرة فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: **إياكم والحسد، فإنَّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**[2].

وقد ذكرت الأخبار أن أصل الكفر هو الحسد وهذا ما جاء في وصية الإمام الصادق عليه السلام لأصحابه:- **إياكم وأن يحسد بعضكم**

(١) بحار الأنوار: ٧٠/ ٢٥٤.

(٢) بحار الأنوار: ٧٠/ ٢٥٧.

بعضا فإن الكفر أصله الحسد(١). هذا وقد علمت أنَّ الحسد أصله الحرص، وبذلك تدرك خطر الحرص جيدًا.

إذا أردت علاجه:

فاعلم أنَّه ليس للحسد علاج كالقضاء على الحرص، ولا يطمعنَّ أحدٌ بالخلاص من هذا المرض الخطير - أي الحسد- الذي يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب_ ما لم يعالج باستئصال مرض الحرص، ولا تطمئن القلوب أو تستقر وتهدأ الأبدان ويسكن الإنسان إلّا إذا جانب الحرص وقاتله كما يقاتل عدوه، بل أشدّ أعداء الإنسان على دينه ودنياه هو الحرص، ولا تجد مشكلة في ذلك، وإنّما المشكلة في إدراك تلك الحقيقة.

فإن البعض يقرأ كتابي هذا بلا تأمل حتّى أنَّه ليخبرني البعض قد قرأت كتابك في ساعة أو ليلة وكأنّه قد أنجز شيئًا، وغفل أنَّ هذا الكلام يحتاج إلى تأمل وإجالة فكر، ومراجعة للنفس، وتفحّص لأعمال النفس وخطرات القلوب، وتنقية وتزكية، ومن بعدها التخلية والتحلية، وأن

---

(١) أصول الكافي: ٩٨/ ٣٢.

يوصل لنفسه أنَّ مرض الحرص خطرٌ عظيم فعلًا كما تذكره الروايات والآيات القرآنية، ويعرض ذلك على قلبه على الدوام؛ ليستيقن تلك الحقيقة، ويعمل على وفقها.

فالحرص:

هو حرمان وتعب، والفقر بعينه، وعلامة الشقاء، وذل وعناء، وألم الأغنياء، فليس لديهم ألم سواه، يفسد اليقين، ويشين ويزري بالمرء، ويكثر عيوبه، وينقص قدره، وصاحبه أشقى الأشقياء، ضعيف الدين، وما أذلَّ النفس شيء كالحرص، ولا شان العرض مثله، صاحبه بعيد الراحة، حليف العناء.

فالغني الحريص والملك الحريص كمن في جنة ذات بهجة، ومع كلِّ ذلك لا يصير إلى خير؛ لأنَّه أعمى، ولا يشمّ ريحها؛ لكونه قد فقد الحاسَّة، ولا يعرف حرق النار إلّا من كان فيها، ألا ترى القلوب لدى الحناجر كاظمين، كلَّ ذلك سببه الحرص، وسوف نذكر علاجه مفصلًا فيما بعد بإذنه تعالى.

أعاذنا الله منه:

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه: **أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجَانِ الْحِرْصِ ، وَسَوْرَةِ الغَضَبِ، وَغَلَبَةِ الْحُسَدِ، وضَعْفِ الصَّبْرِ، وَقِلَّةِ الْقَنَاعَةِ، وَشَكَاسَةِ الْخُلُقِ**(١).

فكان أول استعاذته منه دون غيره وعبّر عنه بالهيجان، وهذا ما يعني ويكشف شدّة وجوده في النفس.

من تبعاته:

إن من أشد تبعاته أنَّه يعمي البصيرة؛ لما عرفت من أنَّ بعض شعبه هو الطمع، والطمع يعمي ويصم ويبكم، حينها لا ينفع القرب من النور، فإنَّ الأعمى لو أسرجت النور بين عينه لا ينتفع به، ولهذا هلك البعض مع قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يحي الموتى، ولكن من ران على قلبه بما كسب، وعَمَت بصيرته لم ينتفع.

وعليه، فإنَّ الحرص من الرذائل التي تُعمي البصائر، فتجد بعض

---

(١) شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): ٦/ ١٨٥.

من ارتكب الحرام وغصب الأموال وركب الأهوال يعلم جيدًا بحرمة ما يقوم به، ولكن غير مجدي ذلك العلم مع فقدان نور البصيرة، وهذا أكثر ما يشغل بال الأولياء والأتقياء فإنَّ حرصهم لم يكن إلّا على ما يبقي بصيرتهم، وحياة قلوبهم.

له مواطن إيجابية:

ينبغي لك أن تعلم أيها القارئ الكريم أنَّ الرذائل لم تكن رذائل متمحِّضة، وقذارات صرفة، بل في الحقيقة هي المواد الأولية للفضائل، لكنّها غير مستخلصة ومنقاة من قبيل عملية تكرير النفط، والكثير من المواد المعدنية كالزجاج، فهو قد يستخلص من مواد آسنة وعفنة، وإلّا فإنَّ كل الصفات التي تقول أنَّها رذائل كطول الأمل، والطمع، والحرص، وما كان منشأ للغبطة فإنَّها في الحقيقة مواد أولية للفضائل، ولها الدور الكبير في السير التكاملي للإنسان.

مثلًا (الخيال) فكم يخطر على الإنسان، إذ يعدُّ من أشدّ أسلحة إبليس على العبد ولكن لولاه لم نفهم الكثير من الأمور المجهولة، والنظريات، وتعقّل الأمور غير المحسوسة، حتّى في العبادة، إلّا أنَّه إذا لم

يُهذَّب ويصبح تحت سلطان العقل، سوف يهلك العبد، وينغِّص عليه عيشه، ومن أدواره تعقّل الآخرة، ونعيمها بل وعذابها، وكذا الحال في الأمل فإنَّه لو رفع من الإنسان لتوقفت عملية الحياة، ولكن المذموم طول الأمل – طوله لا نفسه– فتأمَّل به جيدًا كم له من المنافع، وهكذا الطمع والحرص، كالحرص على الوقت الذي صَنع العلماء، والحرص على الأخلاق ..إلخ.

إنَّ أكثر الناس تعاني من الرذائل، وخصوصًا الذين يدركون خطرها، لا يعرفون كيفية العلاج وطريقته، فيظنون أنَّ الأمر كامن في المواجهة أي في الدفاع، ولا يفكِّرون في الاستئصال، وكيف يتسنّى له ذلك، وهو لا يعلم كيف يقطع دابر مرضه الخطير.

وعليه، لابد من أن يعلموا الأخوة أنَّنا بحاجة إلى دراسة معمَّقة في الأخلاق، ولو على المستوى النظري أولًا ليمكن معرفة أصول الرذائل، وكيفية إزالتها، فإنَّ للرذائل أصول وإن تشعبت، فإنَّ هذه الشُعب لابد وأن ترد إلى أصول من الرذائل، فإذا علمنا أصولها، وتعرّفنا عليها جيدًا يكون قد حصلنا على جزءٍ عظيم من المعرفة في علاج الرذائل وشُعبها.

مثلًا: شخص يريد أن يعالج قساوة قلبه، وأن لا يجترئ على الحرام، ويحاول أن يرقق قلبه في المسح على رؤوس الأيتام وقراءة القرآن و...، ولكن لم يفكر بالسبب الذي يُحدث القساوة فيزيله حتّى لا يحصل له شكٌ في أثرِ القرآن، أو يظن في صدق بعض الأحاديث فيقول: أنا جربت هذا الدواء، ولم ينفع، أو نفعني، ولكن لفترةٍ قليلة؛ لكونه يمارس ما يسبِّب له المرض على الدوام، إذ لا ينفع تناول الدواء مع ممارسة ما يحدث الداء ولكن لو علم أنَّ كثرة الكلام من أشدّ الأسباب التي تُحدث القساوة في القلب، وأنَّها من أعظم الأسباب.

فلو ترك ممارسة ذلك العمل، فسوف يحصل على تأثير عظيم من قراءة القرآن أو المسح على رؤوس الأيتام، أو أكل السفرجل، أو الكمثرى، وغير ذلك من الأسباب المادية والمعنوية.

فالمهم أنَّك تسلِّط الضوء على أمهات الرذائل وشُعبها، وكذا الحال بالنسبة للفضائل فإنَّ مرد الجميع _التي عدّها البعض من الأحاديث إلى (٧٥) فضيلة، وفضلًا عن شُعب هذه الخصال إلى أربع: وهي: الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة.

وأصول الرذائل: الجهل والشره والجبن والجور..، فهذه أمهات الفضائل والرذائل، والكلام يحتاج إلى كتابٍ مفصَّل، والمهم عندي في المقام أن نعرف السبب الذي يُحدِث عندك الرذيلة، أو ما يؤخِّر في علاجها.

وبهذا كان الأجدر بالذكر في علاج الحسد وغيره استئصال الحرص، لا أن يذهب إلى أدوية وعلاجات لا ربط لها بالعلاج، أو لها ذلك، ولكن بعيد، فقد يُضعفها ولكن سرعان ما تعود.

اقسام الرذائل:

الرذائل تنقسم إلى قسمين بلحاظٍ خاص: رذائل متمحِّضة، ورذائل غير متمحِّضة، المقصود بالرذائل المتمحِّضة هي الرذيلة التي لا يمكن أن تكون فضيلة بحال، ولا تنشأ منها فضيلة، لا من حيث المبدأ ولا من حيث الوسطية، ولا من حيث المنتهى.

وأما الرذائل الغير متمحِّضة: أقصد أن تكون بحالٍ رذائل، ويمكن أن تكون فضائل، أو أنَّ منشأ هذه الرذائل هو الأفراط أو التفريط، ولو اتخذت الوسطية اصبحت فضائل، فمثلًا النسيان رذيلة، ومن جنود

الجهل، ولكن يمكن أن يكون فضيلة فيما إذا نسى أحدنا الإحسان للآخرين، أو نسى الإساءة من الناس، فيكون النسيان حينئذ فضيلة، أو هذه الجرأة رذيلة، ولكن إذا أخذت اعتدال وتوسطية، وجانبت الافراط والتفريط والجبن تكون شجاعة.

وتلخَّص أنَّ الحرص ليس برذيلة متمحِّضة، فالحرص وإن كان رذيلة كما ترى، يكون فضيلة فيما لو حرص الإنسان على وقته بشكل معتدل، أو حَرَص على دينه أو الحرص على الشباب.

والظلم من الرذائل المتمحِّضة، ولا يمكن أن يكون فضيلة أبدًا، و وبهذا يكون قد عرفت الرذائل إما أن تكون متمحِّضة أو غير متمحِّضة، وكذا الأمر بالنسبة للفضائل فمنها متمحِّضة، ومنها غير متمحِّضة، فالصدق فضيلة لكن غير متمحِّضة فيما لو كان الصدق في الافشاء بين المتخالِفَين، أو الصدق في مواطن تكشف نقطة ضعف المسلمين، وأما الفضائل المتمحِّضة كصفة العدل.

الإنسان أكثر خطرًا من الحيوان:

نتعوذ كثيرًا من الحيوانات حتى إذا أردنا وصف شخص عديم

الإنسانية قلنا له حيوان، ولكن غفلنا أنّ الحيوانات إذا شبعت ربضت، ولا تقوم حتى تجوع، والإنسان لا يقتل حتى يشبع، وإذا شبع طغى، وكذلك غفلتنا من أننا لم نسمع حيوانًا قتل شعبًا كاملًا بساعة من نهار، وقد فعلها الإنسان ولم نسمع على الفضائيات أنَّ حيوانا يقتل في اليوم والليلة مئات الآلاف من الناس كما هو الحاصل الآن في معركة الدول بما يسمى (بالإرهاب)، وأي إرهاب هذا لا تعلمه أمريكا أو اليهود، أو يخافه كل منهما، العجب كل العجب ممن صدَّق تلك الأكذوبة، والحقُّ أنَّ القاعدة بهذه الحرب هو حرص دولة على المنصب، فهي تدعم بالمال وتحرم شعبها من الخيرات، وحرص دولة أخرى على المال، وحرص دولة على المُلك، وحماية نفسها.

فالحقيقة هو أنَّ كلّ ما يحدث حرص بحرص، ولكن سوف يحق الله الحقَّ بكلماته بعد حين، ويظهر للعالم كلمته الحقَّة، وتلقف كل ما يؤفكون، ويعلمون نبأه بعد حين فإن موعدهم الصبح، أليس الصبح بقريب، ولكن بعد أن يميز الله الخبيث من الطيب!!

أشد آلام الحرص:

من أشدِّ آلامه أن يصيب صاحبه بالحزن، ولا يوجد أوجع للقلب من الحزن، فإنَّه يعدل جميع الآلام والأمراض، حتّى أنَّه ورد في الأخبار وروايات أهل البيت _عليهم السلام_ أنَّ الله إذا أراد تطهير عبد من أثر الذنوب والمعاصي حيث لم يكفرها شيء اختار له الحزن[١]، فهو مصيبة عظمى على العبد نعوذ بالله تعالى منه.

فإنَّ العبد إذا حرص على الدنيا، وهاج به سوف يلزمه الحزن على فوتها، ولا شك من فوَّت الكثير من أمورها فهو في تعلّقٍ في كلِّ ما يطلبه منها، من شهادة أو منصب أو تجارة أو غير ذلك، فيرافق ذلك الحزن، ولكي تتعرف شيء من الحزن نذكر لك بعض الأخبار:

- قال النبي محمد ﷺ:- **إذا كَثُرت ذنوب العبدِ، ولم يكن له ما يكفِّرها ابتلاه الله بالحزنِ ليكفِّرها عنه**[٢].

وذلك لكون الحزن أشدُّ الهمِّ وذروته، بل غايته، وأعظم ما يُخشِّن

(١) ينظر: بحار الأنوار: ٧٠/ ١٥٩.

(٢) الهم والحزن (ابن أبي الدنيا): ٢٩.

الصدر، إذ يجعل القلوب لدى الحناجر.

- وعن الصادق عليه السلام قال: **من كثرت ذنوبه ولم يجد ما يكفِّرها به ابتلاه الله عز وجل بالحزنِ في الدنيا ليكفِّرها به فإن فعل ذلك به، وإلّا عذَّبه في قبره فيلقى الله عز وجل يوم يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيءٍ من ذنوبه**[1].

من هذا تعلم أنَّ الحزن أعظم ما يقاسيه العبد، ومع الحرص وهيجانه يكون الحزن رفيقًا غير مفارق، وسوف نذكر بإذن الله تعالى علاج الحزن بالعلاج المادي والمعنوي.

أمّا علاجه المادي: أكل السفرجل والكمثرى، وغسل الرأس بالسدر والخطمي وأكل العنب الأسود.

وأما علاجه المعنوي: فأعظمها كثرة الاستغفار، وملازمته، والحوقلة، والدعاء حيث ذُكِرت له أدعية خاصة به، وصلاة ركعتين لقوله تعالى (**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**) ومن أعظم العلاجات أيضا وأشفاها للقلوب أن تذكر الموت ووحدتك في قبرك وسيلان عينيك على

---

(١) أمالي (الصدوق): ٣٧٠.

خديك وتقطع أوصالك واكل الدود من لحمك وهلاكك وانقطاعك عن الدنيا فإن ذلك سوف يحثك على العمل ويردعك عن كثير من الحرص على الدنيا والذي قلنا أن السبب الأوحد في إيجاد الهموم والغموم والحزن الذي لا يحتمل فإن العبد إذا فكر في ذلك سينصرف عنه ما اعتراه من الهم فإنك مفارق لها (الدنيا) كما فارقها من قبلك وتنمحي آثارك كما انمحت آثار من مات من قبلك.

وما قاله ابن مسكويه في سبب الحزن: الحزن ألم نفساني يعرض لفقدِ محبوب، أو فوت مطلوب، وسببه الحرص على الفنيات الجسمانية.

الحرص طلب القليل لإضاعة الكثير:

قلنا ربما أدّى الحرص لإضاعة العمر وإزهاق النفس، ولا تجد أعظم من تلك الخسارة، بل في عصرنا الحاضر الكثير من الناس خسرت مساكنها وأموالها ومتاجرها حرصًا على أخذ المال عن طريق الشركات الوهمية التي يعود الجزء الأكبر منها إلى اليهود، فسلَّم البعض ماله بلا سند أو وثيقة تثبت حقّه فقد أعمى الطمع والحرص بصيرته، فصار يتصرف تصرف الأطفال، بل أنَّ بعض الأطفال لا يسلّم لعبته ما لم

تعطيه العوض يدًا بيد.

وأنَّ البعض ليكفيه القليل من المال، ولكن يشدِّد على نفسه في المكسب، فيعمل ليل نهار فيحرم نفسه وأطفاله من المؤانسة، وكذلك زوجته فلا يجلس معهم إلّا وهو مشغول البال، متعب قد أخذ التعب منه مأخذه فيخسر عائلته التوجّه القلبي، ولا أجدُ عوضًا قبال ذلك، ولكون مثل هذه العائلة لا تختلف عن الأيتام فربَّ يتيم كان أبوه حيًا.

ذم الحرص بلسان الأخبار:

- عن أبي عبد الله عليه السلام قال أبو جعفر عليه السلام: **مَثَلُ الْحَرِيصِ عَلى الدُّنْيَا مَثَلُ دُودَةِ الْقَزِّ، كُلَّمَا ازْدَادَتْ مِنَ الْقَزِّ عَلَى نَفْسِهَا لَفّاً كَانَ ابْعَدَ لَهَا مِنَ الْخُرُوجِ ! حَتَّى تَمُوتَ غَمّاً !**[1].

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التُّراب، ويتوب الله على من تاب**[2].

---

(١) غرر الحكم: ح ١٥٥٠، تصنيف الغرر: ٢٩٤.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ١/ ٤٦٨.

- عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أَرْبَعُ خِصَالٍ مِنَ الشَّقَاءِ: جُمُودُ الْعَيْنِ، وَقَسَاوَةُ الْقَلْبِ، وَالْإِصْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ، وَ الْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا**(١).

- عن أمير المؤمنين عليه السلام: **وإظهار الحرص يُورث الفقر**(٢).

- وقال عليه السلام: **وترك الحرص يزيد في الرزق**(٣).

- عن أبي بصير قال:- قال أبو عبد الله عليه السلام:- **أصول الكفر ثلاثة الحرص والاستكبار والحسد**(٤).

- قال الصادق عليه السلام: **أنَّ فيما نزل به الوحي من السماء: لو أنَّ لابن آدم واديين يسيلان ذهبًا وفضَّة لابتغى بها ثالثًا، يا ابن آدم إنَّما بطنك بحر من البحور، ووادٍ من الأودية، لا يملأه شيء إلّا التُّراب**(٥).

أقول: هذه الأخبار تكشف لك عن حقيقة الإنسان، وما هو عليه،

---

(١) بحار الأنوار: ٧٤/ ١٧٢.

(٢) الخصال: ٥٠٥.

(٣) مشكاة الأنوار: ٢٣٠/ ٦٤٥. كنز العمال: ٣/ ٤٥٩/ ٧٤٣٢.

(٤) الخصال: ١٠٤.

(٥) كنز العمال: ٣/ ٤٥٩/ ٧٤٣٢.

فلا معنى للتبرير والأعذار التي لا تتفق مع الحقيقة، من أن ابن آدم لا يشبع لو ملك الدنيا برحبها، فليس لهذه النفس إلّا التهذيب، وإلّا جمحت بك إلى المهالك.

الحرص يدع النفس في تعبٍ دائم:

لا تجد الحريص مرتاح البال، هادئ النفس، ولا تجد له سكينة أو خشوع، بل لا يطرأ على قلبه الإيمان بل تجده مشوش البال مشغولًا نفسه مشتتًا أمره لا يعرف السكون في نفسه، وإن سكن بدنه يعتصر في كل حين على الدنيا وما يريد منها وكأنَّه في سكرات الموت على الدوام فكلَّما لبّى لنفسه شيئًا طلبت آخر، وهكذا حاله حتى يدركه الموت، فهو مشغولٌ في الطلبِ، قد شُغِل بذلك عن الاستعداد ليومٍ لو جاء فيه العبد بعمل سبعين نبيًا لاستقلَّ؛ لشدة هول الآخرة، وعظيم خطبها ولذا ورد في الأخبار أن الحرص مفتاح التعب ومطية النصب وعلامة الشقاء وذل وعناء.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: **لا يلقى الحريص مستريحًا**[1].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٧٧٢.

وعنه عليه السلام: .. **وأشقاكم أحرصكم**[١].

ولذا يجب مداواته ومعالجته بالقناعة بقول أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك: **انتقم من حرصك بالقنوع، كما تنتقم من عدوّك بالقصاص**[٢].

أصناف الحرص:

قد يتصوَّر البعض أنَّ الحرص يكون في المال وطلب الثروة، هكذا يفهم الكثير من الناس، والحقّ أنَّ هذا يعدُّ مصداقًا من ألف مصداق؛ لكونه ما من شيء إلّا ويدخل فيه الحرص، كالحرص على هدى الناس وتعليمهم، إلى حدٍّ يهلك المصلح نفسه، أو حرص الأستاذ على تعليم الطلاب؛ ليكونوا كلّهم أذكياء، وأصحاب درجاتٍ عاليةٍ، وكحرص التاجر على حصول بضاعة معينة، أو حرص بعضنا على شراء دار ذات مواصفات قد ذكرت له، أو كحرص النساء على أزواجهن، أو حرص العامل على انجاز عمله في وقت محدود حتى يتهالك، مع كون العمل يحتاج إلى وقت أكثر، أو كحرص السائق على أن يصل إلى البلد الكذائي

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٨٥.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٣٦.

بمدَّة لا تتناسب مع المسافة المراد قطعها، أو حرص الطلاب على الحصول على شهادات معينة، فترى حياته جحيم في جحيم، ولم يَدَعوا المقادير والأسباب هي التي تتحكَّم في المصير، أو كحرص الآباء على أبنائهم في التربية أو في التعليم.

فالبعض يخاف على أولاده من الانحراف إلى حدٍ يخرج عن الطور الطبيعي، فتراه قلقًا لا ينام ليله، ولا يسكن في نهاره، يخاف من كل شيء يعرض لأولاده، فيسيء الظن مما يدعوا الصحيح إلى السقم، أو يريد من أولاده أن يحصلوا على كذا شهادة، فيقول لابنه: لابد وأن تصبح طبيبًا كفلان، مع أن حكمة الله جلَّ وعلا يريد هذا الرجل أن يكون عالمًا فقيهًا، أو مهندسًا، أو غير ذلك، فلا يدعون للمشيئة الإلهية حيزًا أبدًا، ولا يتركون مجالًا للخالق ليتصرّف في خلقه قال تعالى: (**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ.. وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**)[1].

قد يكتفى بالمقدمات دون النتيجة:

نحن دومًا عندما نبغي عملًا نتهالك فيه على النتيجة، فنجعل في

---

(١) الزخرف: ٣٢.

مخيلتنا عرضًا معينًا ولابدَّ من تحقيقه، ولا نقبل بغيره حتى في الأمور العباديَّة مع أنَّ الله تبارك وتعالى قد يرى أنَّ الغرض هو في المقدِّمات بلا حاجة إلى النتيجة المفترض صرف الأنظار إليها حسب مدَّعانا، فإنَّ الحق تعالى رضي من إبراهيم عليه السلام عندما أمره بذبح ولده، والذي ليس هو كأولاد هذا الزمان بالمقدِّمات، أي عندما أخذه وتلَّه للجبين، ووضع السكين على رقبته، قال له ربه: (**أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا**) فنحن نبقى نسعى وراء الهدف المتعارف تحصيله، والغرض الأسمى، ولكن لا يصحُّ أن نهلك أنفسنا، بل كما أمر الله تبارك وتعالى بقوله (**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**) والذمّ الوارد هو على الطاقة الموجودة عند البعض، ومع كلِّ ذلك لم يصرف جهده إلى تحصيل الغرض.

دفع وهم:

لا يُفهم من كلامي ترك الطلب والسعي لنيلِ المراتب كأن يتأمَّل الإنسان لأن يصبح عالمًا أو أستاذًا أو تاجرًا أو غير ذلك، فيقع ما لا يقصد، وما قصد لم يقع، بل الذي ينبغي للعبد أن يوفِّر الأسباب، ويقوم بكل ما وسعه، وما يلزم القيام به بحسب الاستطاعة.

فإنَّ الله تبارك وتعالى لم يكلِّفنا في عبادته إلّا بمقدار الاستطاعة، فهكذا الحال بالنسبة لطلب الدنيا، ويدع الأمور لله تبارك وتعالى ويترك مجالًا للمشيئة، فإنَّ الدنيا وإن كان فيها الإنسان مختارًا، لكن لا يعني بأن يخرج الله من سلطانه.

فلله المشيئة في كل أمر، ويعطي الدنيا لمن يشاء، فبعض الأمور التي تحرص عليها فيها فساد للنظام **(وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ)**[(١)] فلو سألت كلَّ طالبٍ، ماذا تريد؟ الجواب: أريد أن أكون طبيبًا!!.

فإذا شاء الله ذلك، الكلّ يصبح طبيبًا، فمن يكون مزارعًا أو حدادًا أو نجارًا أو عاملًا ليرفع القمامة التي لو تأخرت في المدينة ليومين أو ثلاث لانتشرت الأمراض، وحينها لا ينفع الطبيب طبّه.

فالحياة تحتاج كل الاختصاصات، والعباد لله تبارك وتعالى، فيريد من خلالهم أن يحكم النظام العام، ولهذا فقد يعاتبنا الحق تعالى على بعض التصرفات مع أولادنا، حيث يضغط البعض على ولده أو ابنته لأنْ

---

(١) المؤمنون: ٧١.

تكون في موضع كذا دون غيره، وأذكرك بقوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1].

سلطنة الحرص:

بعدما يزرع العبد بذور الحرص في قلبه وهي في الحقيقة بذور الشقاء، فتنمو وتكبر لتكون المَلَكة المسيطرة عليه، فتأمره وتزجره، ويكون منقادًا إليها تمام الانقياد حينها لا ينفعه العلم، ولا اليقين، فهو وإن قطع بالهلاك، واستيقنه إلّا أنَّه مع كل ذلك يقوم، وهذا هو السرُّ في هلاكِ الناس الذين تراهم، يعرفون الحق ثم يخالفونه، وكذلك سرّ هلاك إبليس اللعين.

ففي الوقت الذي يكون فيه إبليس من أهل العلم والمعرفة، بل من أهل اليقين، بل أكثر من ذلك من أهل الشهود، قد شاهد من عرش ربه، ومن عظمة خلقه وكبير صنعه ما لم نره أنا وأنت، ويعرف حق الله وعزته

---

(١) الزخرف: ٣٢.

وإذا هو يعصي الله تبارك وتعالى في السجود لآدم عليه السلام، فهو بعظمةِ لسانه يقول: (**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)(١).

ويقسم بعزَّة الله، ويعرف ولاة الحق، فإنَّه يعرف عليًا عليه السلام، وفي الأخبار أنه نصح بعض المؤمنين بأن يوالوا عليًا أمير المؤمنين عليه السلام أي يعرف الولاية، وقال لهم: ما رأيت نبيًا أو ملكًا مقرَّب إلا وهو يتقرَّب بحبّه إلى الله تبارك وتعالى(٢)، ولكن مع كلِّ هذا فهو من الهالكين؛ وذلك لأنَّ الصفة السيئة والرذيلة إذا استحكمت بالعبد صرعته، ولا يستطيع تخليص نفسه منها، ولا مُنقذ له من غيره.

ولهذا أمرنا بتهذيب الأخلاق، وتربية أنفسنا، وتخليصها من صرعة

---

(١) إبراهيم: ١٤.

(٢) ينظر: مناقب (ابن شهرآشوب): ٢/ ٢٥٢.

الرذائل قبل أن تكبر، فمثل من لم يربِّ نفسه من صفة الرذائل مثل من ربّى سبعًا صغيرًا، إذ كان بالإمكان أن يقتله بضربه واحدة، ولكن لمّا كبر السبع في بيته حتى إذا استكمل التقمه، فلا يستطيع حينها تخليص نفسه.

ونحن نلوم بعض الرؤساء؛ لكونهم كانوا أخيارًا ثم تغيّروا، فما الذي جعلهم هكذا بعدما صعدوا دكة الحكم؟ الحق أنَّ هؤلاء كانت عندهم كلاب معنوية (صغيرة جدًا)، ولمّا كبروا وحصَّلوا القوة في المال والسلاح، تغذت وأصبحت كلابًا كبيرة جدًا، لا يستطيعون مواجهتها.

ولذا ينبغي لك أن تعلم أنَّ إبليس لم يخرجه من الجنة إلّا حرصه وتكبره، حيث تمكنا منه فأخذت هذه الرذائل منه مأخذًا عظيمًا، فطلب قليلًا من الاستعلاء؛ لإضاعة الكثير الكثير من العزَّة والكرامة الإلهية.

وعليه، فلابدَّ أن تعلم خطر الصفات، وأنَّها لأخطر من القنبلة؛ لأنَّ القنبلة تفني جسدك، وهذه تفني دينك، فإذا كانت لأحدنا سيئة فليبادر بتزكية نفسه منها، قبل فوات الأوان، حين لا ينفع الندم.

وأشدُّ الرذائل كما علمت الحرص، فإنَّه أساس الرذائل؛ لأنَّ حبَّ الدنيا -الذي هو رأس كل خطيئة وأساس كل إثم- مرتكز عليها، ولا

يمكن أن يحصل حبُّ الدنيا إلّا إذا أسس على أساس الحرص، وكان القاعدة المرتكز عليها، افهم ذلك بتأمل، وإمعان نظر!!

الحرص مذموم أين ما كان:

قد يبرِّر البعض غضبه، ونار حقده، بأنَّه حرصٌ منه على غيره، وخوفٌ عليه من الهلاك خصوصًا الوعّاظ والمرشدين وبعض المربِّين لأولادهم.

وفي الحقيقة أنَّ هذا غير لازم، ولا ينبغي العمل على وفقه؛ لأنَّ الحرص الزائد يقف عائقًا وحائلًا دون تحقيق الغرض والهدف، وربّما يجعل النتائج عكسية تمامًا فيكون الفساد أكثر من الصلاح، والإنسان يكون بحسب العادة حريصًا على ما مُنِع، والواجب على أمثال هؤلاء أن يتعاملوا مع الإصلاح تعامل وضيفي، لا أقول تعامل وضيفي صرف، ومن دون شعور بالطرف المقابل بأدنى شعور إنساني هذا ما لا أقصده بل بمقدار تحفظ معه المروءة والإنسانية قال تعالى (**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ**

رَحِيمٌ)[١].

لكن في الوقت نفسه يقول له تبارك وتعالى (**وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ**) (**فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ**)[٢] (**فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ**)، وكم كان نوحعليه السلام متعلقًا بولده كما هو المعهود من تعلّق الوالد بولده، إذ يناديه: (**يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا**)، فلمّا خالف أمر والده، وذهب للجبل؛ ليعصمه من الماء، وجاءه الغرق قال: نوح عليه السلام (**فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي**) كان الجوب من الله تبارك وتعالى (**قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**)[٣].

عندها أجاب نوح عليه السلام بمنتهى الأدب والتسليم والخضوع له تعالى (**قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ**)[٤]، فخرَّ لله ساجدًا مستغفرًا أي مسلِّماً أمره تمام التسليم، وانفصل عن كلِّ عواطفه اتِّجاه ولده تسليمًا لله تعالى.

---

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) آل عمران/ ٢٠.

(٣) هود: ٤٦.

(٤) هود: ٤٧.

وكذا الحال بالنسبة لإبراهيم عليه السلام مع عمّه المسمّى في القرآن (بالأب)، فلما تبيَّن أنَّه عملٌ غيرُ صالح تبرأ منه، وخرج من عواطفه ومودته، سالمًا من كلِّ إثم.

فالبعض من الناس لا هداية لهم، ولو أرسلتَ لهم ألف نبي، فليس من الصحيح أن تحرص على هؤلاء، وقد يكونوا أبنائنا وأزواجنا وإخواننا ..إلخ، قال تعالى (**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**)(١).

بل البعض منهم لم يكن إلّا ضالًا مضلًا، وأمثال هؤلاء لا رجاءَ من هدايتهم، قال تعالى (**إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ**)(٢).

ومن خلال هذه الاشراقة يجب أن نربّي أنفسنا عند الشروع في أي عمل، أو ممارسة وظيفة، أن لا نحرص، بل نتعامل وفق الظروف والسنن الكونية، فأنا أحرص على المال، ولكن لا أتعلَّق به تمام التعلّق والحال أن في المال شريكين الوارث والحوادث، وما أتفه البعض الذين

---

(١) يوسف: ١٠٣.

(٢) النحل: ٢٧.

يحرصون على أشياء توافه، فيخسر الصديق على (حاجة قدرها ألف دينار) كالقلم أو الكتاب، والبعض يخسر زوجته، ويهدم أسرته؛ لأجل كسر شيء من أثاث البيت، أو صرف رصيد الهاتف، وما شاكلَ ذلك من الأمور التي نستحي ذكرها.

إذ يغفل أنَّ الله مستعدٌ لأن يخلق هذا الخلق من سماوات وأرض وشمس وكواكب لعبدٍ مؤمن واحد، وأمّا نحن نستكثر إذا اتلف شيء حقير من هذه الدنيا!!

الحرص على المستقبل يفوت الحاضر:

كم نحرص على مستقبلنا، ونعمل ليل نهار؛ لأجل أن نقيم مستقبلًا فيما نعيشه، وهذا قد يكون صحيحًا، لكن ينبغي أن يكون تحت آلية صحيحة، غير خاطئة، كما لو كان ذلك الحرص قد أفنى الحاضر، وأورث الشقاء وربّما خسر الكثير من الناس أعمارهم في الحاضر؛ ليصنعوا مستقبلًا لم يعيشوه، وهذا قطعًا من الحماقة، إذ من الحماقة أن تحرم العيش في الوقت الحاضر، وتشقي نفسك على أمرٍ مجهول واقع تحت الاحتمالات، فقد تعيشه، وقد لا تعيشه، كما لو بالغت في الحرص

حتى أهلكت نفسك ومن معك، كما يقوم به اليوم الكثير من الناس؛ لكي يخرج أولاده من خطِّ العيش المتوسط، أو من الفقر إلى الغنى، وإذا به يقتتل ويفني عمره، وبذلك يجعل من يعيلهم في أسوء حال، والصحيح: هو أنَّك (تعيش حاضرك؛ لتدرك المستقبل)، افهم هذه النظرية، وادركها جيدًا.

ويلزم أن تقدِّر نتائج الربح، إذ قد يكون المستقبل الذي قدَّمت له _بأمر الله تعالى ومشيئته_ لا يتلاءم مع ما قدمت له.

فكم من الناس أهلك نفسه في طلب المال، أو الرئاسات؛ ليبلغ مقدارًا من العيش، يكون قد ناله بعض الناس بدون مؤونة قاسية على نفسه وعياله، يقول الإمام الصادق عليه السلام: إن كان الرزق مقسومًا فالحرص لماذا؟[1]، وقال الله تبارك وتعالى: (**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**)[2].

ثم لا يخفى أنَّ هناك خلقًا في وقتنا الحاضر قد خلق لنا أجواء تعيسة

(١) بحار الأنوار: ٧٥/ ١٩٠.

(٢) الزخرف: ٣٢.

وشاقَّة؛ خوفًا على المستقبل، وكأنَّ العالم بأيدينا، وواقع تحت تصـرفنا، وكأن لم يقل الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا**﴾[1]، ثم أنَّه أين التوكل والثقة بالله تعالى؟ والتي هي من أسمى العبادات، فهل من الممكن الحصول عليها مع كل هذا الحرص على المستقبل..!!

والحق أن هذه العبادات قد باتت في خبر كان، وصرنا نتكلُ على ما عندنا من مال وقوة؛ ولهذا قد وكلنا الله تبارك وتعالى إلى أنفسنا.

إذًا العاقل هو الذي ينتزع نفسه من هذه الرذائل التي تجمعت في الحرص كي لا يكون مغنمًا لإبليس، ومغرمًا لنفسه! ولتكن على يقين أنَّنا لا نخرج من هذه الدنيا حتى نستوفي رزقنا، ولا يبقى منه مقدار ذرة، ولا يزيد كذلك.

أشدُّ حبال إبليس:

لابدَّ لك من معرفة أنَّ هذه الشهوات والرغائب التي في الإنسان هي حبائل إبليس، وبإمكانك أن تعرف مدى قوته عليك بلا مؤونة من خلال معرفة قوة الغريزة والشهوة وتلك الرغائب، فكل واحدة منها

---

(١) لقمان: ٣٤.

تعدُّ حبلًا ولجامًا بيد إبليس، ولذا فإنَّ الغرض من التهذيب والتزكية؛ لأجل قطع تلك الحبائل والصلة بين الإنسان وعدوه، وليتمكن الخلاص من كيدهِ وأمانيه، فهو لا يزيّن للعبد حب النساء في حال كونه فاقدًا لذلك بمقتضى الطبيعة أترى أنَّه (يزين شرب البول_ أو شيء من هذا القبيل)؛ وذلك لعدم وجودها في الإنسان، ولو كانت في الإنسان مثل هذه الشهوة لأضلَّهم بها ولا تأخذه هوادة أو تردد.

عن أبي عبد الله عليه السلام: **قال ظهر إبليس ليحيى بن زكريا عليه السلام وإذا عليه معاليق من كل شيء، فقال له يحيى:- ما هذه المعاليق يا إبليس؟**

قال:- هذه الشهوات التي أصبتها من ابن آدم.

فقال: فهل لي منها شيء؟

قال: ربما شبعت فثقلتك عن الصلاة والذكر!!

قال يحيى عليه السلام: لله علي أن لا أملأ بطني من طعامٍ أبدًا.

فقال إبليس _اللعين: لله علي أن لا أنصح مسلمًا أبدًا.

فقال الإمام عليه السلام: يا حفص ولله على جعفر وآل جعفر أن لا يملئوا بطونهم من طعام أبدًا، ولله على جعفر وآل جعفر أن لا يعملوا للدنيا

أبدًا[١].

قال كل ذلك؛ ليقطع تلك الحبائل والسلاسل التي بينه وبين إبليس، بعدما كان في علمه أنَّ هذه الشهوات هي قيود إبليس، ولولاها ما كان لإبليس علينا من سلطان، ولكان لا يضر ولا ينفع؛ ولبطل تأثيره تمامًا، ومن أثرِ تلك الصفات هي الحرص والحسد المُبتنى عليه.

يقول أبو عبد الله عليه السلام: يقول إبليس لجنوده: **ألقوا بينهم الحسد والبغي، فإنَّهما يعدلان عند الله الشرك**[٢]. هذا الحسد الذي أساسه الحرص، وكذلك البغي، فإنَّ العبد لا يبغي على أخيه بشيء ما لم يحرص.

وقد مرَّ عليك الخبر من نصائح إبليس لنوح عليه السلام إذ قال له: لا تحرص. وبهذا؛ ليَعلَم جميع أحبتنا وأخوتنا علمًا يقينيًا أنَّ لا نجاة في الآخرة لعبد غَفِل عن نفسه، وتماهل في إصلاحها، وكان من أهل التسويف، وأن يتمنى على الله ما لم يكن، فهو مغرور لا محالة له.

وعليه، أن يقطع تلك الحبال التي بينه وبين إبليس، ولا أقل من

---

(١) المحاسن ٢/ ١٤٦.

(٢) الكافي: ٢/ ٣٢٧.

إضعافها، وإلّا فإنَّ إبليس لم يرحم بنفسه، وقسى عليها كما تعلم إذ أخرجها من نعيم دائم إلى جحيم مقيم، فكيف يرحم بعدوه وابن عدوه وهو آدم عليه السلام وأولاده _عصمنا الله وإياكم منه.

أشد ما يقاسيه العبد من الحرص:

لا يخفى أنَّ الرذائل تتفاوت من رذيلة لأخرى من حيث التوغل في النفس، فبعضها أكثر من بعض، ولذا قد يصلح الإنسان بعض الرذائل في مدَّة قصيرة، وبعض منها الآخر يطهر تبعًا للفئة العمرية، إذ قد تنتفي بانتفاء موضوعها بلا تدخل من قبل الشخص نفسه.

نعم، يبقى الأثر السلبي لتلك الصفة على نفسه، وكذا على بدنه، وإن انتفت جوهريًا من ذاته، وأمرّ ما تكون الصفة حينما تستمر مع الإنسان إلى آخر عمره، فأيُّ ما رذيلة كان هذا حالها_ بأن تقارن العبد إلى آخر عمره- فهي من أشدّ الرذائل ضراوة على نفسه، ولم نجد من الرذائل العرضية أو الطولية أي المتشعبة من الأمهات تكون كذلك إلّا الحرص وطول الأمل؛ لشهادة الوجدان بل العيان.

ولهذا نرى الكثير من الناس لا ينفقون أموالهم وإن شارفوا على

الموت، وربما وجدنا البعض في سكرات الموت وهو يتحدث في أعماله، حديث من يودّ لو عاش ألف سنة، مضافًا إلى ذلك ذكر الروايات لهاتين الصفتين، إذ جاء في الحديث المروي عن النبي ﷺ: **ليهرم ابن آدم ويشب منه اثنان الحرص على المال والحرص على العمر**[1]. أو "**ليهرم ابن آدم ويبقى منه اثنان الحرص والأمل**"[2]. وقد تخوَّف النبي الأكرم ﷺ على الأمة من اثنين من الرذائل وهما: (إتباع الهوى وطول الأمل).

وعليه يلزم الإنسان تطهير نفسه من هاتين الرذيلتين، وأن يبكِّر تطهيرهما، ويعالجهما بأمور نذكرها فيما بعد بإذن الله تعالى، وأن لا يتوانى فيفوته إصلاحهما ويقع في سلطنتهما فيكون عبدًا مستضعفا كما كان إبليس إذ لم ينفعه علمه ولا يقينه بعدما ركبه الحرص وأورثه الحسد فأهلك نفسه وسلبت عزته وكان من الغابرين وهذا ما دعاني إلى تسليط الضوء على تلك الرذيلة، فهي التي أهلكت الناس على مر العصور ولا تجد ما ينغص حياتهم إلّا وسببه الحرص.

---

(١) بحار الانوار: ٧٠ / ١٦٠.

(٢) الخصال: ٧٣.

وقد عرفت من عجيب هذه الصفة أنَّها تشب وتنبت عندما يهرم الإنسان، وهذا أغرب ما تسمع عن هذه الصفة، وأخطر شيء فيها ولو لم يكن منها إلّا ذلك لكفى بها مذمّة وداعية للإصلاح.

ترك الحرص أساس السعادة:

إنَّ الله تبارك وتعالى حذَّر من الارتباط في الأمور الدنيوية؛ وذلك لكونها دائمًا على رحيل، ومتصرِّمة، ومع التعلّق بها، والارتباط فيها يصعب تقبّل ذلك، فتكون مشاعر الإنسان وأحاسيسه وعواطفه تبعًا لها، ولهذا يكثر حزنه وسخطه، ولذلك مؤثِّر سلبي على سيرِ الإنسان التكامليّ في الحياة المادية والمعنوية في الدنيا، فكم من شخصٍ ارتبط بأمرٍ فان، ولمّا كان عُرضةً للدمار انهار، وأصبح إنسانًا معقدًا، عاطلًا عن الحركة؛ ولهذا يقول الله تبارك وتعالى: **(لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)**(1).

حتى يكون أحدنا ناظرًا إلى الأمام، ومرفوعًا عن الأسفل غير ملتفتين إلى ما يتحطَّم ويفنى تبعًا لطبيعته فإن لكل شيء أجل من المال

---

(١) الحديد: ٢٣.

والأولاد والمناصب فكما له بداية لابد وأن تكون له نهاية.

فالإنسان الذي يكون دائمًا نظره إلى الأمام، مرفوع الهِمَّة، لا يحزن على ما يفوته، ولا يفرح بما يأتيه ولا يتعلَّق به، وسوف يكون إنسانًا مستقبليًا، وصاحب ماضٍ مُضيء، وكل ما يصيبه بعيد عن مساحة هدفه.

فالحزن على الماضي، وعلى ما فات، يعدُّ عوقًا كبيرًا في انجاز المستقبل، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **لا تُشْعر قَلبَك الهمَّ على ما فات؛ فيشغلك عن الاستعداد عمّا هو آت**[1].

فالسعيد من أحيا يومه وأقامه، ولا يأتي ذلك إلّا بترك ما يشينه من الهمِّ على ما مضى من خلال الحرص، ويقول عليه السلام: **كثرة الحرص يشقي صاحبه ويذل جانبه..!!**[2]. فإنَّه آفة السعادة.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٢١ .

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٥٢٥ .

تعامل مع الأشياء بحذر شديد:

دخلنا الحياة ونحن لا نعلم شيئا ولا عيب في ذلك إنما العيب أن نتعامل مع الحياة قبل أن نعلم كيف نتعامل معها فحملنا الجهل على اقتحام ما فيها بلا علم أو دراية وغفلنا أن ما من شيء فيها من خير أو شر نريد أن نتعامل معه يجب أن يسبقه العلم والمعرفة فاشتغلنا في التجارات واستعلينا المناصب وتزوجنا النساء وأنجبنا الأولاد من دون حصول المعرفة اللازمة وهذا سبب الخرق والمشاكل وليس المشكلة فيما قمنا به من هذه الأمور فإن الله تبارك وتعالى أراد منا التجارة وكسب المال مع الرفق بقلوبنا بأن لا نتهالك إلى حد أن نسفك الدماء ونستبيح الأعراض لأجل متاع قليل وأن نسور قلوبنا بالقناعة كي لا يتسلل إليها الحرص.

وكذلك الحال في العلاقة مع الأبناء يجب أن لا تغلب على حب الله جل وعلا لا لكونه تعالى بحاجة إلى حب عبد مسكين وإنما لأجل أن نكون أحرارا غير مرتهنين لحبهم الذي ربما أهلك الكثير من الناس فقال الله تبارك وتعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن**

ذِكْرِ اللهَّ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)(١). يجب أن نرسم لكل حبٍ وعلاقة حدًا، ونحافظ على قلوبنا؛ لأنَّ القلب حرم الله تعالى، وإذا استمكنت هذه الأمور على حَرَمه تمكَّن الشيطان من الاستيلاء على مملكة القلب، هذه المساحة التي قال الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: **ماوسِعَني أرضي ولا سَماواتي ، ولكن وَسِعني قلبُ عبدي المُؤمِن**(٢).

فأنت لو توجهَّت إلى الله تبارك وتعالى بعقلك وفكرك ستجد _مهما بلغت من المعرفة_ أنك ستقف عند حدٍ في يوم ما؛ فإنَّ العقل محدود، ومثله كالسيارة في زماننا هذا، توصلك إلى قرب دار الحبيب، لكنها لا تدخلك إليه، وتؤنسك به، وكذلك لو توجَّهت بأعمال الجوارح من قيام وقعود وصيام إلى غير ذلك ما أمر الله تبارك وتعالى به سوف تقف عند حدٍ ما.

أما القلب فهو المساحة التي تسع الحق _جلَّ وعلا_ قال تعالى **(وَإِنَّا لموسِعُونَ)** ولهذا ليكونن الحرص على تلك المساحة التي إذا

---

(١) المنافقون: ٩ .

(٢) الوافي (الفيض الكاشاني):١١/ ٥٣٦ .

صلحت لم يصلح الإنسان فحسب بل العالم برمته قال الله تبارك وتعالى: **(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ)**[١] وقال تعالى: **(وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا)**[٢]. وقال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ)**[٣].

والاستقامة لا تكون إلا في القلب فلا يعدُّ الإنسان مستقيماً ولو عمل أعمال الثقلين من الصالحات ما لم يستقم قلبه، ألا ترى أن الله تعالى قد اعرض عن كل شيء ولم يدعه نافعاً إلى يوم الدين إلا أمراً واحداً إذا جاء به جاء بكل شيء وإن خسره لم يكن شيء!

قال تعالى **(يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)** سليم من كل عوالق الدنيا من المال والبنون فإذا بقت عوالقهما في القلب بواسطة الحرص عليهما فلا يطمعن أحدكم بالنجاة.

---

(١) الأعراف: ٩٦ .

(٢) الجن: ١٦.

(٣) فصلت: ٣٠.

ومن حكم الموت بأن جعله الله تبارك وتعالى قاسيًا على عباده المؤمنين، إذ يشدِّد عليهم بالسكرات حتى يشغلوا عن أقرب شيء، عن أموالهم وأولادهم، كلَّ ذلك؛ ليأتوه بقلبٍ سليم.

ألا ترى قول الله تبارك وتعالى لموسى عندما اختاره واصطنعه لنفسه: **(فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى)** [1] فإن المروي أنَّه عليه السلام كان في قلبه حبًا لزوجته، فكان اللازم عليه خلع ذلك الحب من قلبه؛ ولهذا يجب أن نعلم جيدًا أنَّ الأشياء كلَّها يجب أن تحذر عندما تتعامل معها، وأن يكون القلب لله واليد للعيال واللسان للناس وخير مثال ما قالته بنت الأبطال زينب بنت أمير المؤمنين _عليها السلام_ في صغرها إذ قال لها أبوها:- أحبكم، قالت:- يا أبتِ بل تعطف علي، وإنَّما الحب لله، ذرية بعضها من بعض.

علاج الحرص:

الأول: ذكر الموت: من أفضل العلاجات التي يتم بها الاستشفاء من مرض الحرص هو المداومة على ذكر الموت وما يحل بالإنسان بعد

---

(١) طه: ١٢.

الموت، ويتفكَّر في الآيات والروايات التي تحدَّثت عنه، ويقارن بينها، يحرص عليه وبين الموت الذي سوف يؤول إليه.

وفي يوم كان الصحابي الجليل أبو بصير _عليه الرحمة_ حزينًا كئيبًا فدخل على الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام فرآه الإمام _صلوات الله عليه_ فبادره بقوله: **أما تحزن؟ أما تهتم؟ أما تألم؟**

فأجابه:- بلى والله.

قال عليه السلام: فإذا كان ذلك منك فاذكر الموت، ووحدتك في قبرك، وسَيلان عينيك على خَدَّيك، وتقطّع أوصالك، وأكل الدود من لحمك، وبلاك، وانقطاعك عن الدنيا، فإن ذلك يحُثّك على العمل، ويردعك عن كثيرٍ من الحرصِ على الدنيا(١).

وقال أمير المؤمنين _صلوات الله وسلامه عليه: **فاكثروا ذكر الموت عندما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات، وكفى بالموتِ واعظًا**(٢).

وعن النبي صلى الله عليه وآله: **أكثروا ذكر الموت فإنه هادم اللذات، حائل بينكم**

---

(١) أمالي (الصدوق): ٤٢٦.

(٢) أمالي (الطوسيّ): ٥٨.

وبين الشهوات[١].

ثم اعلم أنَّه ما من حسنة إلّا وكان أساسها الإيمان باليوم الآخر، وما من سيئة إلّا وأصلها نُكرانه، وقد بيّنا ذلك مفصلًا في كتاب (معرفة المعاد عين السداد)، ولو استقْصيَتَ الأخيار والأشرار لوجدت تلك الحقيقة، بل ستجدها في نفسك، ففي اليوم الذي يقوى فيه إيمانك بالآخرة ستجد نفسك طامعة في الخير، نابذة للشرِّ، والعكس بالعكس.

الثاني: القناعة:- إن من الطرق التي نعالج بها الرذائل أن نستعمل لها الضد؛ حتى تعتدل من قبيل العقاقير، إذ يستعمل في زيادة الحموضة ما يضادها من القلويات؛ لتصل إلى حد الاعتدال، فإذا كنت بخيلًا فأسرف في العطاء، ثم اعتدل، وإذا كنت جبانًا فادخل في مهابط الرعب وبتأني، أي لا تلقي نفسك في التهلكة، وفي المقام أنَّ ما يضاد الحرص هو القناعة.

يقول أمير المؤمنين _صلوات الله وسلامه عليه: **انتقم من حرصك**

(١) بحار الأنوار: ٦٨/ ٢٦٦.

بالقنوع كما تنتقم من عدوِّك بالقصاص[1]. بأن ترى كل ما عندك يكفيك، ولا ترى منقصة فيما أنت فيه، بل مسرفًا مبذرًا، وأُرشِدك إلى قراءة الأخبار الواردة في القناعة؛ لكي ترتاض نفسك عليها.

الثالث: حبُّ الدنيا: وهذا علاجٌ عام وتام وكامل وشامل، فإنَّ الرذائل والصفات السيئة وإن تعدَّدت وتكاثرت، وهكذا الخطايا والذنوب والمعاصي فإنَّها بالنتيجة تردُّ إلى مردٍ واحد، وقالب فارد، وهو حبّ الدنيا، وإذا واجهت حبّ الدنيا فإنَّك ستقطع أصل كل رذيلة، وتتخلَّص من المجاهدات الفردية والتعددية التي تُتعب المجاهد.

الإنسان طاقة ذات حدٍ محدود:

قد تحدَّثنا عن الحرص، وبيَّنا بعض الشيء عنه، بقيت علينا ذكر تتمة تنفع في المقام؛ تنويرًا للأفهام، وهي بيان جملة من منافع الحرص، وهي الحرص على توفير الطاقة، بعدما لَفَتَ انتباهي بعض البرمجيات التي تتمتع بها بعض اجهزة الاتصال، فعندما تُشرِف البطارية على

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ٣٩١.

الهبوط تخرج لك واجهة تطلب منك توفير الطاقة، فتقوم بالضغط عليه فيعمل بدوره على عدَّة أمور، منها:

خفض الإضاءة، وحذف بعض البرامج في مثل هذا الحال، ويعطي إيعازًا بأنَّ بعض ما تقوم بتحميله يُعرِّض البطارية للتلف، ويجعل عمرها قصيرًا فيطلب الأذن بالحذف، فخطرت ببالي أقوال أمير المؤمنين عليه السلام التي يظهر بها أن النفس يلزم الحرص عليها، وعدم استهلاكها بتوافه الأمور فالشباب طاقة، والرأي طاقة، والصحة طاقة، والقوة طاقة، والنشاط طاقة، والمال طاقة، والفكر طاقة، أي كل ما ذكر يعدُّ طاقةً محدودة، ولذا يلزم صرفها في الأهم، ثم المهم، فيحرص على شبابه، فيغتنمه في ما هو اهم، ويحرص على ماله بأن ينفقه كذلك، وقوته وصحته وأن يراعي الأهم فالمهم، فبعثرة هذه الطاقة التي لا تسع لكل شيء يعدُّ جهلًا وحماقةً وسخفًا في العقل، ولا يعرف قدرها إلّا حين يفقدها حين لا ندم ينفع ولا عذر يشفع، وإليك قول سيد الحكماء علي ابن ابي طالب عليه السلام: **إنَّ مَالك لا يفي جميع الناس، فأخصص به أهل**

الحق[1].

بأن ينفقه على أفضل الناس وأحوجهم.

ويقول عليه السلام:

إنَّ كرامتك لا تتسع الناس فتوخَّ بها أفاضل الخلق[2].

إنَّ ليلك ونهارك لا يستوعبان لجميع حاجاتك فأقسمها بين عملك وراحتك[3].

إنَّ رأيك لا يتّسع لكلّ شيءٍ ففرّغه للمهم[4].

إنَّ نفسك مطيتك، إن أجهدتها قتلتها، وإن رفقت بها أبقيتها[5].

وهكذا بقية الأصناف، كالشباب والقوة والصحة والرغبة والشدة والعزم والإرادة، وأمثال ذلك كلّه ذات حدٍ محدود، فاحرص أن تستخدمها بالأهم في عمرك.

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ٣٧٠.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ١٥٦.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ١٥٥.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ١٥٦.

(٥) عيون الحكم والمواعظ: ١٥٥.

تطبيق عملي:

قد لا تتقرَّب الفكرة من دون ذكر امثلة وتطبيقات؛ ولهذا أخذنا على أنفسنا بيان ذلك، مثلًا تعلم أنَّ مالك مهما كثر فلّه حد ومقدار، لا يتسع للعالم كلّه، فاجعله للأحقِّ بالصلة والتواصل كالأرملة، واليتيم والملهوف وأهل العلم الذين لا همَّ لهم إلّا ذلك، من أصحاب العقول وطلّاب العلم، وأمّا وقتك فقدِّم الأهم من الأمور على غيرها، فأوَّل الأمور دينك، ثم دنياك.

وعندما تأتي إلى دنياك فاعمل الأهم من الاعمال سواء على المستوى (اليوم، الاسبوع، الشهر)، فعندما تستيقظ لا تصرف وقتك بالكلام والنقض والابرام، وتضييع الوقت، بحيث تأتي لما أنت مسؤول عنه، ولا بدَّ لك من القيام به، تجد أنَّ وقتك قد انقضى وفات، مع قلّة النشاط إن وُجِد، وكذا الأمر بالنسبة للصحة.

البعض عندما يستيقظ صباحًا، ويجد نشاطًا كافيًا يصرفه بالقال والقيل، حتّى يذهب عزمه ونشاطه ويفقد طاقته، فلا يجد ما يعينه حينما يباشر إلى أهم أموره، وأمّا الشباب فابدأ حياتك بالعلم والتعلم والمعرفة

والعبادة وتقويم حياتك المادية كإنشاء دار، فلا تضيِّع الشباب، وتأتي لمثل هذه الأمور وقد أصبحت شيخًا يصعب عليك الحراك، قد اعتلته الفاقة والملالة من الحياة، وهكذا العزم والإرادة فإنَّها طاقة قد تذهب بكثرة الكلام، أو من خلال الجلوس مع اصحاب العجز والكسل، وأهلُ الباطل، فإنَّ هؤلاء سُرّاق الطاقة، فتفقد قوتك وعزمك.

فاجلسوا مع أهل النشاط والتديّن _فإنَّهم يُشعرونكم بالحيويَّة، والذين لا يعرفون اليأس والمتفائلون، وإيّاكم ثم إيّاكم من أصحاب الشكاية، المتذمرين، والبخلاء، فإنَّ أمثال هؤلاء يُفقدونك العزم والإرادة والنشاط، بمجرد النظر إليهم، وبهذا تظهر أهمية البيئة التي تسكنها أو ترتادها.

وباقي الأمور من هذا القبيل، والمهم عندي بيان أنَّك طاقة محدودة في كلِّ شيء، يجب أن تحرص عليها، وتصرفها فيما هو أهم، وإلّا فمن اشتغل بالتوافه ضيّع الأهم، حتى حاجتك للناس اخزنها لما هو أهم، فلا تطلبنَّ الصغير والكثير فيملّونك بعد ما قد استنزفت ماء وجهك، فكان عليك أن تقطره في اضطرارك، وتدّخره لما هو أهم، سواء بالمعونة المادية

كالدين، أو المعنوية كالنصيحة، والله الموفق للسداد.

اشتغالك بما يعنيك يعدُّ توفيرًا للطاقة:

هناك نزعة نفسية يجدها كلُّ واحدٍ منّا في نفسه وهي الفضول، والتدخل في شؤون الآخرين في اعمالهم وآرائهم وأحاديثهم، وتنبعث هذه الصفة من الحماقة، أو فقل أنَّها إن دلَّت على شيء دلّت على أنَّ صاحبها يحمل شيء من الحماقة، ولو راجعت كلمات امير المؤمنين عليه السلام لوجدت هذا الأمر جليًا، فالأجدر ترك ما لا يعني، والفضول، والتدخل في الآخرين حتّى يطلب منك ذلك بأشدِّ الطلب؛ لأنَّك تعرِّض نفسك للأحكام الإلهية من حلال وحرام، بعد ما كنت في عافية، فصرت تخاطر بدينك؛ لأجل غيرك، وهذا العمل ينافي توفير الطاقة التي يلزمنا الحرص عليها، إذ تجد بعض العوائل ليس لها عافية لا في دين ولا دنيا ولا بدن من خلال أنَّهم يستورَّدون المشاكل من غيرهم، حيث لا تجد عنده مشكله تخصّه بل كلّه استيراد، وحتّى التي تخصه الباعث هو الاستيراد لها من الغير كأن يكون جرّاء الفضول، والتدخل فيما لا يعني، وبهذا نجد امثال هؤلاء يخوضون في أحاديث تهلك دينهم ودنياهم،

ليس فيها طاقة للإنسان، ولا أدنى ربح، بل خسارة، وهذا من أكثر ما يضيِّع الطاقة أي طاقة الإنسان، فالأجدر حذف هذه من منظومة الأسرة والفرد، وأن لا يتدخل في شؤون الآخرين إلّا أن يصبح ذلك تكليفًا شرعيًا، واضرب لك مثالًا: أنَّ لقمان نزلت عليه الملائكة تخبره أنَّ الله تعالى يقول: هل يريد أن يكون حاكمًا؟ فقال لهم هل خيرني أم أمرني؟

فذهبت الملائكة وجاءت بالجواب قالت: خيّرك.

قال لقمان عليه السلام: اخترت العافية. أي رفض.

وسُئل ما الفرق؟ قال: إن أمرني فإنه لابدَّ وأن يعينني، وإن خيّرني صرت أنا ونفسي[1]، وقَبل الحكومة داوود عليه السلام فضَلَّ دهره يغبط لقمان عليه السلام على ما اختار من العافية، إذ رفض الحكم.

ويقول امير المؤمنين عليه السلام:

- **من تكلَّف ما لا يعنيه فاته ما يعنيه**[2].
- **اقصر رأيك على ما يلزمك تسلم، ودع الخوض فيما لا يعنيك**

(١) ينظر: بحار الأنوار: ١٣/ ٤١٢.

(٢) شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): ٢٠/ ٣٤٤.

تكرم[١].

- **من اشتغل بالفضول فاته من مهمة المأمول**[٢].
- **أكبر الكلفة تعنيك فيما لا يعنيك**[٣].
- **شرُّ ما شغل به المرء وقته الفضول**[٤].

وهكذا فلا تُشغلن نفسك إلّا فيما ينجيك، واعلم إنَّ هذا الخلّق حَكَمه من هو أفضل منك علي ابن ابي طالب عليه السلام دخل بطمريه وخرج بها، وليس عليه شناءة جورٍ أو خيانة _تعالى سيدي ومولاي عن ذلك_ ولم يُنصفوا بل فضَّلوا عليه سُنَّة اعدائه، ممن ظلموا، فلا يدخلن إليك الشيطان بأن يريك ويصوِّر لك أنَّك وحيد دهرك.

واعلم أنَّ من فيه صلاح وهدى يهديه الله تعالى إلى من يرشده ويعلمه ولو تكفلَّ ذلك بنفسه قال تعالى: **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾**.

وما ذكرته لا ينافي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقضاء

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٣٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٦٢٧.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٠٣.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٠٩.

الحوائج، ومساعدة الفقراء فإنَّ لكلٍّ ذلك باب يخصه، بل هذا من باب الاشتغال بالمهم، فاجمع ولا تفرق، والله الموفق للسداد.

الفهرس